منهج الإمام مالك في تدوين و نقد الحديث الشريف من خلال الموطأ

د. حاج حمد تاج السر حاج حمد محمد البولادي (★)

المقدمــة :

الحمد لله على فضله وإحسانه، و الشكر له على كرمه وإنعامه، الواحد الأحد الفرد الصمد ﷻ وتقدست أسماءه، و الصلاة والسلام أداء لما وجب، ووفاء لما طلب، على سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وأزواجه أمهات المؤمنين، وأصحابه و التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليما.

أما بعد

فقد أرسل الله جل وعلا النبي ﷺ ،خاتما للأنبياء والمرسلين، وأنزل عليه كتابه الخالد القرآن الكريم، هاديا ومرشدا وموجها ،ونبراسا للأمة من بعده ،فبلغ ﷺ الرسالة وأدى الأمانة،وهدى العباد إلى طريق الرشاد ،فأعلن دعوته في مكة المكرمة، وهاجر منها إلى المدينة المنورة،ولبث بها حتى أتاه اليقين ،فترك ثروة كبيرة من أقواله وأفعاله وتقريراته ،حفظها الصحابة رضي الله عنهم، ورواها التابعين رحمهم الله، وطبقها أهل المدينة فصاروا النموذج والمثال، فحفظوها في صدورهم ، ووعووها بقلوبهم ، وانزلوها تطبيقا عمليا في حياتهم، ونشروها لغيرهم ، فتلقاها التابعين من الصحابة ،وورثوها بدورهم لمن جاء بعدهم من أهل العلم،من تابعي التابعين ، فحفظوها كما جاءت ، وعملوا بها كما كانت،وروَوها لمن بعدهم من أهل الإسلام ،فكتبوها في الدواوين ، ونقحوها من انتحال المبطلين،فبينوا صحيحها من ضعيفها،حتى وصلت لكل العالم نبراسا يهدي،وصراطا يحتذى ، وكان للإمام مالك بن أنس رحمه،وكتابه الموطأ القدح المعلى في التعريف بالسنة وروايتها ورجال إسنادها، مما جعله مشهورا في كافة أنحاء المعمورة، وتلقته الأمة بالرضا والاحترام والتقدير لما بذل فيه من جهد

(★) الأستاذ المشارك - نائب عميد كلية الدراسات الإسلامية رئيس قسم العلوم الإسلامية -كلية التربية سابقا جامعة كسلا - السودان

ولما حوى من الترتيب والتنظيم،والتبويب الذي لم يسبق إليه،مع فضل الإمام مالك لأنه ولد في المدينة،ونشأ بها،ومات فيها ،فشهد بعينه بقلبه،ورأى بعينه،نور الوحي عند أهل المدينة مهاجر الحبيب ﷺ،وأرض تطبيق السنة فعليا. فوضع لنفسه ولموطئه منهجا يسير على نهج من سبقه من الصحابة والتابعين،واضح المعالم ،يستفيد منه من يأتي بعده.وهذا ما سيجتهد الباحث في توضيحه من خلال بحثه الموسوم باسم :(منهج الإمام مالك في تدوين و نقد الحديث الشريف من خلال الموطأ)

أهمية البحث:- تنبع أهمية هذا البحث في أنه يوضح ويبين المنهج الذي سلكه الإمام مالك في موطئه ، ومنهجه في التأليف ونقد الحديث ،وجرح وتعديل الرواة، مع توضيح أثر الموطأ في تقعيد علوم الحديث،وبيان سبق الإمام مالك في وضع مناهج علم الحديث بمختلف ضروبه،ومنهجه الذي سلكه في تأليف الموطأ،مع بيان العلاقة بين الموطأ وكتب السنة الأخرى خاصة الصحيحين.

أهداف البحث:

أ- بيان منهج الإمام مالك في تأليفه للموطأ وجمعه وتدوينه للحديث الشريف.

ب- التعريف بالإمام مالك والموطأ وأثر الموطأ في كتب الحديث التي ألفت بعده.

ج- اثر الموطأ في نشأ علوم الحديث مع بيان منهج الإمام مالك في نقد الحديث والحكم على والرواية والرواة ومنهجه في ذلك.

د- إظهار أهمية الموطأ بين كتب الحديث عامة والصحيحين خاصة واثر في حفظ علم أهل المدينة.

أسئلة البحث :- ما المنهج الذي سلكه الإمام مالك في كتابة الموطأ؟وما هي الوسائل التي اتخذها لرواية الحديث والحكم على الرواة؟ وما اثر الموطأ وموقعه بين كتب الحديث وغيرها؟

منهج البحث:- سيتبع الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي التاريخي للوصول لهدف البحث مع إيراد الأدلة والشواهد من الأحاديث النبوية وأقوال العلماء للتدليل على ذلك.

خطة البحث :- قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث

وخاتمة، كما يلي:

* المقدمة : وفيها خطة البحث

* تمهيد :-وفيه تعريف بالإمام مالك والتعريف بالموطأ مع بيان بداية تدوين الحديث النبوي الشريف وعلومه وأثره من خلال الموطأ.

* المبحث الأول: :منهج الإمام مالك في جمع وتأليف الموطأ .

* المبحث الثاني : منهج الإمام مالك في الإسناد والحكم علي الرواة .

المطلب الأول:منهج الإمام مالك في الرواية و جرح وتعديل الرواة .

المطلب الثاني: الإمام مالك والرواية عن الضعفاء.

*المبحث الثالث: الإسناد والرواية بين الموطأ والصحيحين

*الخاتمة وفيها النتائج والتوصيات.

*المراجع والمصادر في البحث.

تمهيد

أولا :-التعريف بالإمام مالك[1]

(93 - 179هـ، 712 - 795م).

اسمه وكنيته ومولده:- هوالإمام المتقن،الحجة الحافظ،المحدث الفقيه،شيخ الإسلام وإمام دار الهجرة ، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان بن جثيل بن عمرو بن الحارث ذو أصبح الأصبحي الحميري. المكنى أبو عبد الله المدني، أحد أعلام الامة،وصاحب المذهب الذي اشتهر بين كافة الانام ،فتبعه خلق كثير من اهل اليمان والإسلام.

ولد الإمام مالك على الأصح في سنة ثلاث وتسعين من الهجرة النبوية عام موت أنس خادم رسول الله ﷺ. ونشأ في كنف امه العالية وقيل- الغالية- بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك الأزدية،التي حثته على العلم حتى صارامام

(1):ترتيب المدارك ،القاضي عياض 1\106 – الطبقات ،محمد بن سعد 5\63 - تذكرة الحفاظ، 1\207 – تهذيب التهذيب ،الحافظ ابن حجر العسقلاني10\6 – البداية والنهاية ،ابن كثير 10\147 – سير أعلام النبلاء ،الإمام الذهبي 8\48 – مقدمة الموطأ ص26

الدنيا وعالمها،ومرجع الحديث والمحدثين في المدينة التي نشأ فيها الإمام رحمه الله وترعرع وطلب العلم فيها، ودرس على علمائها وشيوخها ،حتى فاق أقرانه، فقد طلب العلم وهو ابن بضع عشرة سنة،وتأهل للفتيا،وجلس لها وله إحدى و عشرون سنة ،وقصده طلاب العلم من الأفاق وازدحموا علي بابه،وحملوا عنه حتى التحق بالرفيق الاعلى رحمه الله.

علمه وفضله:ـ (1)

بذل إمامنا عليه رحمة الله العلم بعد أن تأهل له،وأخذ عن جملة من أهله في المدينة وهي مهبط الوحي ودار النبوة ،ومأوى الصحابة، فقد روى الحديث عن عامر بن عبد الله بن الزبير وزيد بن أسلم ونافع مولى ابن عمر وحميد الطويل وسعيد المقبري وخلق كثير غيرهم .

وأخذ عنه العلم وتتلمذ عليه عدد لا يحصى منهم عدد من شيوخه،وعدد من أقرانه،وتلاميذه في كل الأمصار والبلدا ن أشهرهم الأوزاعي والثوري وورقاء بن عمر وشعبة وابن جريج والليث بن سعد وابن عيينة من أقرانه،وأبو إسحاق الفزاري ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي وأبو نعيم وأبو عاصم وأبو الوليد الطيالسي والقعنبي وإسماعيل بن أبي أويس ويحيى بن يحيى النيسابوري وأبو مسهر وعبد الله بن يوسف التنيسي وقتيبة وخلف بن هشام البزار وآخرون غيرهم من أقرانه وممن هم أكبر منه.

وقد حمل عليه كثير من العلماء حديث النبي ﷺ الذي رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال:(ليضربن الناس أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون عالماً أعلم من عالم المدينة) (2)

ومعناه ما دام المسلمون يطلبون العلم لا يجدون أعلم من عالم المدينة، ولم يكن بالمدينة عالم في العلم والفقه والجلالة والحفظ مثله، ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى أن المقصود بالحديث هو الإمام مالك بن أنس. (3) وقد أقر له

(1) تهذيب التهذيب ،ابن حجر 10\6 – مقدمة الموطأ ص26

(2) أخرجه أحمد في مسنده، 299/2رقم7967- والترمذي في كتاب العلم،باب ما جاء في عالم المدينة5\47 رقم2682 وحسنه -وابن حبان، رقم2308 –والحاكم في المستدرك، 91/1رقم307وقال على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي- والبيهقي في السنن، 386/1رقم1681-والحميدي في المسند2\485رقم747.

(3) الفتاوى ،ابن تيمية 323/20

بالعلم والفضل كثير من العلماء،حتى الحكام الذين يوقرون العلم ويحترمون أهله،فقد قال أبو جعفر المنصور لمالك رحمه الله:(والله لئن بقيت لأكتبن قولك كما تكتب المصاحف،ولأبعثن به إلى الآفاق، فلأحملهنم عليه)[1]

وعلمه وفضله لا يحصى ولا يستحصى ،ومناقبه أشهر من أن تذكر في مثل هذا المختصر.

مؤلفاته:- وللإمام مالك عدد من المؤلفات غير أشهرها:-[2]

(أ): كتاب:"الموطأ"، وهو أول كتاب يؤلف في الحديث، مرتب على الأبواب الفقهية،وأول الكتب الصحاح في سنة النبي ﷺ.

(ب):- رسالة إلى ابن وهب في القدر والرد على القدرية

(ج):- رسالة في الأقضية كتبها لبعض القضاة.

(د):- رسالة إلى أبي غسان محمد بن المطرف في الفتوى.

(ه):- رسالة إلى هارون الرشيد في الأدب والمواعظ.

و) رسالته إلى الليث في إجماع أهل المدينة - وهي مشهورة

وفاته:-[3] توفي الأمام مالك رحمه الله بالمدينة المنورة سنة تسع وسبعين ومائة من الهجرة النبوية،ودفن بالبقيع إلى جوار قبر إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم.

ثانيا :-التعريف بالموطأ

يعد موطأ الإمام مالك أول مصنف مدون مجموع للحديث الصحيح،مما جعل له مكانة رفيعة بين كتب الحديث،وهو يتميز بالجمع بين الحديث والفقه،فقد دون فيه الإمام مالك الأحاديث المرفوعة،وهي في أعلى درجات الصحة،والآثار الموقوفة على الصحابة والتابعين،وأتباعهم بل ودون فيه آراءه الفقهية المسندة دون ذكر الإسناد ،مع ذكر أبواب للأدب والجهاد ،ولم يتطرق لأبواب التوحيد والعقيدة والتفسير والزهد والرقائق والتفسير .وهو من أعلى كتب السنة إسنادا وصحة، ولعل هذا ما حدى بالإمام البخاري وهو من هو في الحديث أن يقرر أن

(1) سير أعلام النبلاء ،الذهبي 8\61

(2) ترتيب المدارك ،القاضي عياض2\90

(3) سير أعلام النبلاء ،الذهبي 1\111 – ترتيب المدارك، عياض2\55- تهذيب التهذيب ،ابن حجر10\9

ما رواه:مالك عن نافع عن ابن عمر،أنه أصح الأسانيد،كما رجح رحمه الله.[1]

وهي غالب روايات الموطأ،وأشار إليه العراقي في الألفية بقوله :[2]

وقد خاض به قوم فقيل مالك ******* عن نافع بما رواه الناسك

مولاه واختر حيث عنه يسند ******* الشافعي ، قلت : وعنه أحمد

واختلف العلماء في منزلة الموطأ من كتب السنة، فمنهم من جعله مقدما على الصحيحين كالإمام أبي بكر بن العربي والشافعي رحمهما الله غيرهم،ومنهم من جعله في مرتبتهما كالإمام الدهلوي و الشيخ أحمد شاكر وغيرهما،ومنهم من توقف في ذلك كما سنبين من خلال ثنايا البحث.[3]

وليست أحاديث الموطأ كلها مسندة،بل فيها المرسل،والمعضل،والمنقطع وغير ذلك،وقد ذكر العلماء أن جميع ما فيه من قوله(بلغني)وقوله:(عن الثقة)من غير أن يسنده(61) لكنها مسندة من طرق أخرى غير طريق مالك نفسه،ولذلك تصدى ابن عبد البر النمري إلى تأليف كتاب حاول به أن يصل ما في(موطأ مالك)من الأحاديث المرسلة والمنقطعة والمعضلة[4].

سبب اسم الموطأ:- [5]وسبب تسمية الموطأ بهذا الاسم،مختلف فيه على أوجه كلاتي:-

(أ): قيل سسببه قول الإمام مالك: عرضت كتأبي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأني عليه فسميته الموطأ.

(ب):ويقال أن اسم الموطأ من ابتكار مالك، إذ من ألف قبله كان يسمي كتبه بالمصنف، أو المؤلف،أو الجامع.

(ج): قيل أن سبب تأليفه هو ما طلبه منه أبو جعفر المنصور ولقيه مالك بالمدينة فأكرمه وفاوضه، فقال:ضع للناس كتابا ينتفعون به تجنّب فيه رُخص ابن

(1) تهذيب التهذيب ،ابن حجر10\9- تيسير مصطلح الحديث الطحان ص30

(2) فتح المغيث بشرح الفية الحديث ، العراقي ،ص8

(3) مقدمة تنوير الحوالك : ج 1ص6.- تدريب الراوي : ج 1ص91 - حجة الله البالغة : ج 1ص133 ط دار المعرفة بيروت-الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث:ص 24.-سير أعلام النبلاء ،الذهبي 8\61

(4) علوم الحديث ومصطلحه للدكتور / صبحي الصالح : ص 387.

(5) الاستذكار، ابن عبدالبر 1\186- تنوير الحوالك ،السيوطي ص 6- تاريخ ابن خلدون 1\17 –ترتيب المدارك2\72 – تاريخ الطبرى 7\509 –حلية الأولياء أبو نعيم 6\316

عباس،وشدائد ابن عمر،ووطئه للناس توطئة. وذكر العلماء أن أبا جعفر حاول فرض كتاب الموطأ على الناس فأبى الإمام رحمه الله ذلك.

عدد أحاديثه والعناية به:-وقد فصل العلماء أن جملة ما في الموطأ من الأحاديث النبوية و آثار الصحابة وأقوال التابعين (ألف وسبعمائة وعشرون حديثا)،المسند منها ستمائة حديث، والمرسل مائتان واثنا وعشرون حديثا،والموقوف ستمائة وثلاثة عشر،ومن أقوال التابعين مائتان و خمسة وثمانون.[1] وقيل أن ما فيه نحوا(1843)وقد بلغ عدد الكتب(61)كتابا وعدد الأبواب (803)أبواب، وهي لا تخلو من أحاديث مرفوعة أو موقوفة. انتقاها بعناية فائقة،ودراسة جادة ،وتمحيص ونقد لإسنادها ، وهذا ما شهد له به العلماء فقد قال سفيان بن عيينة:رحم الله مالكا ،ما كان أشد انتقاده للرجال)[2]

وقد بين الشيخ أحمد شاكر منزلة أحاديث الموطأ حيث قال:(إن ما في الموطأ من الأحاديث الموصولة المرفوعة إلى رسول الله ﷺ صحاح كلها،بل هي في الصحة كأحاديث الصحيحين ، وأن ما فيه من المراسيل والبلاغات وغيرها يعتبر فيها ما يعتبر في أمثالها،مما تحويه الكتب الأخرى ، و إنما لم يعد في الكتب الصحاح لكثرتها وكثرة الآراء الفقهية لمالك وغيره.[3] والموطأ لأنه أول كتاب كامل في الحديث، ولأنه مرتب على الأبواب الفقهية،ويظهر من خلاله عمل أهل المدينة لذلك اعتنت الأمة الإسلامية به،فنهض إليه العلماء ووضعوا عليه كتبا جمه في كل باب من أبواب العلم،فكثرت شروحه ، و الكلام على رجاله وأسانيده وغريبه، وغير ذلك من أنواع المصنَّفات الَّتي وُضعت عليه، ومن أجود ذلك كتابا(التمهيد)و(الاستذكار)للشيخ ابن عبد البر القرطبي،وما كتبه القاضي أبو بكر محمد بن العربي،والحافظ جلال الدين السيوطي وغيرهم كثر . وممن ألف في شرح غريبة أحمد بن عمران الأخفش،وأبو القاسم العثماني المصري وغيره.[4]

(1) انظر تدريب الراوي :ج 1ص111 - تنوير الحوالك السيوطي،ص10
(2) الاستذكار"،لابن عبد البر1/166-التمهيد 68/1 - تهذيب التهذيب ،ابن حجر10 \9
(3) . الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث،ابن كثير ص 24
(4) المصدر السابق ص 25- مقدمة تنوير الحوالك ص 12

قال عياض:(لم يعتن بكتاب من كتب الحديث والعلم اعتناء النّاس بالموطأ)[1] ثم إنَّه لَم تقتصر جهود المحدِّثين على أحاديث"الموطَّأ" فقط،بل تعدَّى البحث والتَّنقيب عن أحاديث مالك عامَّة التي لم يُودعها فيه وهي بأصحِّ الأسانيد،ومنهم من جَمَع أحاديث الموطَّأ بأسانيده(كمسند الموطَّا)للجوهري،وقاسم بن أصبغ،و الدَّار قطني في كتابه(غرائب مالك) ومنهم من سمَّى كتابه (مسند مالك)كأبي داود ،و النَّسائي كما ذكر القاضي عياض. [2]

ثالثا :- تدوين الحديث النبوي الشريف وعلومه [3]

لقد مر تدوين الحديث الشريف و علومه،(رواية ودراية)، بعدة مراحل ،شأنها شأن كل العلوم في بداياتها منذ القرن الأول الهجري،باعتبار أن الحديث هو أحد قسمي الوحي الإلهي الذي أُنزل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم ، هو القرآن الكريم والسنة النبوية. فقد قال تعالى في حقه ﷺ ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[النجم: ٣ - ٤] وقد كانت هناك عناية خاصة للصحابة بالسنة النبوية وحفظ الحديث النبوي،فقد كانوا رضوان الله عليهم،يستفيدون أحكام الشريعة من القرآن الكريم مع الرجوع إلي رسول الله صلي الله عليه وسلم ليبينه لهم ويفسره ،ثم اجتهدوا في نقل أقواله وأفعاله،وتحروا فيها وتثبتوا،فكانوا لا يقبلون الرواية إلا بعد تحري دقيق ونظر فيمن نقلها رضي الله عنهم.ثم جاء من بعد الصحابة كبار التابعين،الذين تلقوا الحديث من الصحابة رضي الله عنهم،حيث انتهجوا نهج سلفهم المبارك في الرواية،والبحث والتفتيش فيها، فانتشرت كتابة الحديث في الجيل على نطاق أوسع مما كان في زمن الصحابة، إذ أصبحت الكتابة ملازمة لحلقات العلم التي يقيمها الصحابة في كافة بلاد العالم

(1) ترتيب المدارك1\198

(2) انظر - السُّنن الكبرى ،البيهقي 347/5 - -الجرح والتعديل .ابن أبي حاتم" 331/1 تدريب الراوي : 1ص111 – ترتيب المدارك2\80

(3) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ،للحافظ ابن كثير،ص 22 وما بعدها – تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي،السيوطي 1\3- تيسير مصطلح الحديث الطحان ص 8 السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص103 - فتح الباري اب حجر 1\194 – جامع الأصول 1\15- سير اعلام النبلاء 5\329

الإسلامي التي وصلوا إليها ،وصار لهم طلاب فيها يتلقون عنهم الحديث الشريف مع العلوم الأخرى ، وهنا انتشرت حلقات العلم وأصبح لكل صحابي جماعة من التابعين حسب الجهة التي ذهب إليها، فأنشأ العلماء طرقا ومجالات أخري لحفظ الحديث والعناية به وذلك (بحفظها،والسؤال عن الإسناد،والبحث في أحوال الرجال) ومن هنا بدأ تدوين الحديث الفردي، بجهود التابعين ولم تظهر علومه، حيث إنها لم تدون في عهد الصحابة إلا نهم كانوا ينقلوها حفظا دون أن يكتبوها، ولم تظهر عندهم الفرق و المذاهب الهدامة،ولم يظهر الوضع في الحديث، ولم يكثر الوضع فيه.

وكانت الرحلة في طلب الحديث من لوازم طريقة المحدثين،وقد استمرت الرحلة في جيل التابعين حيث تفرق الصحابة في الأمصار بعد الفتوحات يحملون معهم ميراث النبوة ،وما كان يتيسر للرجل أن يحيط علما بحديث رسول الله صلي الله عليه وسلم دون الرحلة إلي الأمصار وملاحقة الصحابة المتفرقين فيها.والكتابة منهم والأخذ عنهم، وقد كانت الكتابة للحفظ فقط،خشية نسيان المكتوب،لا لمقصد جمع السنة وتدوينها ، فما زال الحفظ هو المقدم في ذلك الزمن ،وبمرور الزمن ، تراجع الحفظ،وانشغل العلماء بالدفاع عن البلاد الإسلامية من الأعداء ،وانتشرت الكتابة في عصر التابعين وتابعيهم بإحسان ، وبدأ التدوين الرسمي للحديث، تحت إشراف الدولة ورعايتها، بأمر من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رحمه الله فتم جمع الحديث من كل الأمصار ، وفي هذا العصر،بدأت المصطلحات الحديثية في الظهور،وبدأ نقد الرجال ينتشر، ورغم ذلك فإن علم المصطلح لم يتبلور بعد ليصبح علما مستقلا من علوم الحديث .

وأما علم الجرح والتعديل،فقد بدأ ينشط منذ وقوع الفتنة الكبرى وما صاحب ذلك من ظهور الفرق وانتشار الخروج والتشيع فكان لا بد للأئمة من التحري والتفتيش في أحوال الرواة ، فظهر علم الجرح والتعديل .

ثم بدأ التدوين الشامل المبوب المرتب علي الأبواب والفصول ويعتبر هذا الجيل جيل التأسيس لعلوم السنة و من أمثالهم الأئمة (مالك ، الشافعي ،

الثوري، والأوزاعي ، ابن المبارك ،وغيرهم). [1] ومصنفات هذا العصر قد جمعت إلي جانب أحاديث الرسول صلي الله عليه وسلم أقوال الصحابة وفتاوى التابعين.حتى جاء بعدهم القرن الثالث الذي يعتبر أو هي عصور السنة النبوية،وفيه ظهرت الكتب الستة الصحاح،وظهر فيه تجريد الحديث النبوي من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين ، وبيان درجة الحديث من الصحة والضعف والوضع، وظهرت طرق جديدة للتصنيف.وفي هذا العصر أيضا أصبح لكل نوع من أنواع الحديث علماً واسما خاصا ًبه،كل ذلك أنتج كتبا صارت نبراسا للأمة وهاديا لها،صنفها علماء أجلاء تركوا لنا ثروة علمية مسندة وصحيحة،و من هؤلاء العلماء الأعلام نذكر:البخاري ومسلم صاحبا الصحيحين.والترمذي والنسائي وابن ماجة وأبو داوود أصحاب السنن .والإمام أحمد صاحب المسند.والإمام مالك صاحب الموطأ الذي يعتبر رأس إتباع التابعين،و أول من دون الحديث مرتبا صحيحا على أبواب الفقه،بمنهج واضح وطريقة ثابتة غير مسبوقة،وكل من جاء بعجه سلك مسلكه وانتهج نهجه،وهو الذي سنشرع بإذن الله تعالى في بيانه والحديث عنه مستعينين بالله وأقوال العلماء فيه مع النظر في الموطأ و منهجه فيه .

المبحث الأول

منهج الإمام مالك في جمع وتأليف الموطأ

يعتبر كتاب الموطأ من أقدم كتب السنة النبوية التي وصلت إلينا، وأصحها إسنادا،وأشدها تحريا و نقدا للرواة،،ويتميز الموطأ بأن جامعه إماماً من أهل المدينة المنورة،التي شهدت التطبيق العملي للسنة النبوية،وقد عاصر فيها كبار العلماء والفقهاء، فتميز كتابه بقصر الأسانيد بينه والنبي ﷺ، وتميز بأن المدينة المنورة دار مقام النبي ﷺ والصحابة من بعده، فكانت بذلك منبع السنة النبوية قولا تلقاه التابعون من أفواه الصحابة وعملا توارثوه عنهم،وأما الصحة فلأنَّ أصح طرق السنن ما يرويه أهل الحرمين مكة والمدينة ،فإن التدليس فيهم قليل، و **الاشتهار بالكذب ووضع الحديث عندهم عزيز،كما قال الخطيب البغدادي .** [2]

([1]) انظر تدريب الراوي ،السيوطي1\111 – تيسير مصطلح الحديث ،الطحان ص8.

(2) انظر الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ،الخطيب البغدادي1\286 80

ولذلك انتهج الإمام مالك،نهجا لم يسبق إليه،في ترتيبه وفي كتبه وأبوابه وذلك على النحو التالي :-(1): جعله على الكتب فيقول كتاب كذا،ثم يورد تحته مجموعة من الأبواب على أبواب الفقه. (2):تحت الباب يبدأ بالحديث المرفوع غالبا ثم يتبعه بآثار الصحابة ثم أقوال التابعين ثمّ يعلق عليه. (3): في ترتيبه السابق دائما ما يسند ما يرويه حينا ويرسل أحيانا أخرى حسب منهجه في الاحتجاج بالمرسل ،وفيه بعض الأحاديث المقطوعة التي وصلها العلماء من بعده. (4)إيراد القوي من حديث أهل الحجاز مع شدة التحري ونقد الرواة والبعد عن الضعيف . (5):بعد ذكر الحديث وقول الصحابي وفتوى التابعي، يذكر أحيانا آرائه الفقهية الخاصة به وربّما بيّن ما عليه العمل ،أو الأمر المجمع عليه عندهم ،أو ما أدرك عليه أهل العلم ويقصد أهل المدينة . (6):الذي جعله يمزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم أن هذا هو منهج التأليف في ذلك الوقت. (7):ابتكر الإمام مالك جمع الأحاديث المتشابهة والمتقاربة في باب واحد فيقول باب جامع كذا مثل في كتاب الطهارة يقول باب جامع الوضوء،وفي كتاب السلام يقول باب(جامع السلام)وهكذا.

(8):استعمل ألفاظا علميۃ جديدة لم تعرف قبله في موطئه مثل(الأمر المجمع عليه)و(الأمر عندنا) . و مثله (ببلدنا) ومثله(بعض أهل العلم)وحدثني الثقة وغيرها.وقد تتبع العلماء هذه المصطلحات وتولوا شرحها وبيانها،مثل ما قاله ابن عبد البر:إذا قال مالك:عن الثقة عن بكير بن عبد الله الأشجّ؛ فالثقة:مخرمة بن بكير،ويشبه أن يكون عمرو بن الحارث.قال ابن عبد البر:إذا قال:عن الثقة عن عمرو بن شعيب؛فهو عبد الله بن وهب،وقيل الزهري وغيرها من المصطلحات الأخرى. (1)

مثال لمنهجه رحمه الله:- ونلحظ إن الإمام مالك قد التزم بمنهجه هذا غالبا في الموطأ ويظهر لنا ذلك جليا في أول الموطأ وهو كتاب الصلاة، فهو يذكر الحديث مرفوعا مسندا صحيحا، ثم يأتي بقول الصحابي ،ثم يورد فتوى أحد التابعين ،ويذكر رأيه ويفتي بعد ذلك فقد قال كتاب وقوت الصلاة في (5)(باب

(1) انظر التمهيد 4/3- الإرشاد للخليلي209/1- تدريب الراوي ،السيوطي 312/1

جَامِعِ الْوُقُوتِ) الأتي وهو ما يوضح منهجه في موطئه قال : [1]

أولا:- ذكر الحديث المرفوع وهو حَدَّثَنِي يَحْيَى، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ(الَّذِي تَفُوتُهُ صَلاَةُ الْعَصْرِ كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ)|.

ثانيا:- أورد قول الصحابي فقال وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، انْصَرَفَ مِنْ صَلاَةِ الْعَصْرِ فَلَقِيَ رَجُلاً لَمْ يَشْهَدِ الْعَصْرَ فَقَالَ عُمَرُ مَا حَبَسَكَ عَنْ صَلاَةِ الْعَصْرِ فَذَكَرَ لَهُ الرَّجُلُ عُذْرًا فَقَالَ عُمَرُ طَفَّفْتَ . قَالَ يَحْيَى قَالَ مَالِكٌ وَيُقَالُ لِكُلِّ شيء وَفَاءٌ وَتَطْفِيفٌ .

ثالثا:- جاء بقول التابعي فقال وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِنَّ الْمُصَلِّيَ لَيُصَلِّي الصَّلاَةَ وَمَا فَاتَهُ وَقْتُهَا وَلَمَا فَاتَهُ مِنْ وَقْتِهَا أَعْظَمُ- أَوْ أَفْضَلُ - مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ .قَالَ يَحْيَى قَالَ مَالِكٌ مَنْ أَدْرَكَ الْوَقْتَ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَّرَ الصَّلاَةَ سَاهِيًا أَوْ نَاسِيًا حَتَّى قَدِمَ عَلَى أَهْلِهِ أَنَّهُ إِنْ كَانَ قَدِمَ عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ فِي الْوَقْتِ فَلْيُصَلِّ صَلاَةَ الْمُقِيمِ وَإِنْ كَانَ قَدْ قَدِمَ وَقَدْ ذَهَبَ الْوَقْتُ فَلْيُصَلِّ صَلاَةَ الْمُسَافِرِ لأَنَّهُ إِنَّمَا يَقْضِي مِثْلَ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ .قَالَ مَالِكٌ وَهَذَا الأَمْرُ هُوَ الَّذِي أَدْرَكْتُ عَلَيْهِ النَّاسَ وَأَهْلَ الْعِلْمِ بِبَلَدِنَا.وَقَالَ مَالِكٌ الشَّفَقُ الْحُمْرَةُ الَّتِي فِي الْمَغْرِبِ فَإِذَا ذَهَبَتِ الْحُمْرَةُ فَقَدْ وَ جَبَتْ صَلاَةُ الْعِشَاءِ وَخَرَجْتَ مِنْ وَقْتِ الْمَغْرِبِ .

رابعا:- ثم أفتى بعد ذلك معتمدا ومستدلا على قول ابن عمرقال وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ، أُغْمِيَ عَلَيْهِ فَذَهَبَ عَقْلُهُ فَلَمْ يَقْضِ الصَّلاَةَ .قَالَ مَالِكٌ وَذَلِكَ فِيمَا نَرَى - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ ذَهَبَ فَأَمَّا مَنْ أَفَاقَ فِي الْوَقْتِ فَإِنَّهُ يُصَلِّي[2]. هذا هو المنهج العلمي الذي اختطه الإمام رحمه الله في الموطأ،والتزم به،وسار عليه من أول الكتاب إلى نهايته غالبا.

أنواع الروايات في الموطأ:- وإذا تتبعنا كتاب الموطأ نجد أن جملة الروايات والمرويات لا تخرج من الآتي :-[3]

أ-الأحاديث المسندة الصحيحة المتصلة المرفوعة إلى النبي صلى الله

(1) انظر الموطأ،كتاب وقوت الصلاة ،باب جامع وقوت الصلاة رقم12و22و23و24ص44
(2) الموطأ ص45
(3) انظر تيسير مصطلح الحديث ،الطحان ص53

عليه و سلم.

ب- أقوال الصحابة، أو ما يُسمى بالموقوفات.

ج-الأحاديث المرسلة التي يرويها التابعي عن النبي ﷺ

د- المنقطع.وهو الحديث الذي سقط منه أحد الرواة غير الصحابي.

ه- أقوال التابعين وفتاواهم رحمهم الله،التي استشهد بها في موطئه.

و- حديث الراوي المبهم.فمن صوره في الموطأ،يقول حدثني الثقة.أو عن رجل.وحدثني من لا أتهم. ز- ما يسمى بلاغات مالك وهي الأحاديث التي يحذف فيها مالك الإسناد،وسنبين ذلك لاحقا.

ك- أقوال الإمام مالك واختياراته الفقهية وهي كثيرة في الموطأ، وغالبا ما يختم الأبواب برأيه في المسألة، ونقل إجماع وعمل أهل المدينة فيها.

البلاغات والمراسيل في الموطأ:- يوجد في موطأ الإمام مالك ما يعرف بـ(البلاغات)وهي من قبيل المعلّقات،وقد وُجد بعض من البلاغات موصولاً بإسناد ضعيف وإن كان كثير منها ثابتاً. وقال السيوطي :(صنَّف ابن عبد البر كتابا في وصل ما في الموطأ من المُرسل والمُنقطع والمُعْضل قال:وجميع ما فيه من قوله:بلغني،ومن قوله:عن الثِّقة عنده،مِمَّا لم يُسْنده:أحد وسُتون حديثًا،كلّها مُسْندة من غير طريق مالك ، إلاَّ أربعة لا تعرف ، و وقد وصلها الحافظ ابن الصلاح في رسالة سماها(وصل البلاغات الأربعة في الموطأ).ولأحمد بن الصديق الغماري(البيان والتفصيل لوصل ما في الموطأ من البلاغات والمراسيل) ولعلي القاري الحنفي رسالة بعنوان:شفاء السالك في إرسال مالك. وهي مطبوعة بتحقيق الشيخ:مشهور حسن سلمان..[1]

مثال ذلك:قال مالك(بلغني عن أبي هريرة ، أن رسول الله قال:للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف من العمل إلا ما يطيق)[2].هذا البلاغ في الموطأ وقد روي موصولا في غير الموطأ. قال أبو عبد الله الحاكم :هذا معضلٌ،أعضله عن مالك هكذا في الموطَّأ، إلاَّ أنَّه قد وُصل عنه خارج"الموطَّ ، وقد روي موصولاً

(1) انظر التمهيد، ابن عبد البر 161/24- علوم الحديث ومصطلحه صبحي الصالح ص 387 تدريب الراوي 212/1- توجيه النظر إلى أصول أهل الأثر، لطاهر الجزائري تحقيق س ص 911-الموطأ ص101.

(2) الموطأ ،كتاب الاستئذان،باب الأمر بالرفق بالمملوك رقم 16،ص701

عن مالك ،رواه إبراهيم بن طهمان،والنعمان بن عبد السلام .[1]

وقد تحرى العلماء فوجدوا أن بلاغات الموطأ كلها موصولة السند إلا أربعة فقط،ومع ذلك بحث العلماء لها عن إسناد ،وألفوا فيها التآليف وقد تتبع ابن الصلاح والسيوطي وغيرهما هذه الأحاديث الأربعة فأسندوها .وهذه الأربعة بلاغات هي: [2].

1-الحديث الأول:عن مالك انه بلغه أن رسول الله ﷺ قال :(إني لأنسى أو أنسى لأسن)(كتاب السهو باب العمل في السهو).[3]

2-الحديث الثاني :عن مالك انه سمع من يثق به من أهل العلم يقول:(أن رسول الله أري أعمار الناس قبله أو ما شاء الله من ذلك .فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل مثل الذي بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خير من ألف شهر.(كتاب الاعتكاف باب ما جاء في ليلة القدر).[4]

3-الحديث الثالث :عن مالك قال معاذ بن جبل:(آخر ما أوصاني به رسول الله وقد وضعت رجلي في الغرز أن قال حسن خلقك للناس) (كتاب الجامع ما جاء في حسن الخلق).[5]

4-الحديث الرابع:عن مالك انه بلغه أن النبي ﷺ قال:(إذا نشأت بحرية ثم تشاءمت فتلك عين غديقة).(كتاب الاستقاء باب الاستمطار بالنجوم).[6] هذه هي الأربعة أحاديث التي قال العلماء أنها غير موصولة في الموطأ،وقد وجدت موصولة مسندة بعد البحث والتنقيب ،مما يؤكد على قوة حافظة الإمام مالك ،وشدة تحريه،ودقته وإتقانه في الرواية،مما جعل الموطأ أحد دواوين السنة الصحيحة المسندة بل يفوقها ترتيبا فقهيا،وتطبيقا عمليا،لان فيه آخر أعمال أهل المدينة ورواياتهم، مع قصر الإسناد والتبويب الفقهي السهل ،مما جعله تحفة في

(1) تيسير مصطلح الحديث ص56 -معرفة علوم الحديث، الحاكم ص 37 - الخليلي في الإرشاد164/1.
(2) علوم الحديث ومصطلحه ص387- التمهيدبن عبد البر161/24-تدريب الراوي 212/1
(3) الموطأ،كتاب السهو ،باب العمل في السهو رقم2،ص101
(4) الموطأ ،كتاب الاعتكاف،باب ما جاء في ليلة القدر رقم 15 ،ص253،
(5) الموطأ،كتاب حسن الخلق،باب ما جاء في حسن الخلق رقم1،ص646
(6) الموطأ ،كتاب الاستقاء، باب الاستمطار بالنجوم، رقم5 ،ص165

زمانه وملاذا للعلماء بعد زمانه.وقد تعددت صور البلاغات وألفاظها في الموطأ على النحو التالي مثل:-

1- بلاغ عن النبي ﷺ مباشرة،فيقول مالك:بلغني أن رسول الله ﷺ قال.ومثاله في الموطأ حدثني عن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال(استقيموا ولن تحصوا واعملوا وخير أعمالكم الصلاة ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن)[1]

2- بلاغ من الصحابي عن النبي ﷺ كقوله:بلغني عن بسر بن سعيد أن رسول الله ﷺ قال:(إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تمسن طيبً)[2]

3- بلاغ عن التابعي عن النبي ﷺ كقوله:بلغني عن علي بن الحسين أنه كان يقول: كان رسول الله ﷺ إذا أراد يسير يومه جمع بين الظهر والعصر وإذا أراد أن يسير ليله جمع بين المغرب و العشاء) [3]

4- بلاغه عن التابعي الذي بلغ عن النبي ﷺ كقول مالك:عن عن يحيى بن سعيد أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال:(ما على أحدكم لو اتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته).[4]

5- ثم يبلغ هو عن الصحابي أو عن التابعي من غير أن يكون مرفوعا إلى النبي ﷺ،وذلك كثير في الموطأ. وبلاغات كلها الموطأ إما مرسلة من التابعي الى النبي صلى الله علي وسلم أو موقوفة على الصحابي، أو من التابعي ،فهي حجة لان مالك لا يبلغ إلا عن ثقة، ولا يرسل إلا عن ثقة،،ومذهب مالك الإمام رحمه الله في أن مرسل الثقة تجب به الحجة ويلزم به العمل،كما تجب بالمسند، وهذا مذهبه أبو حنيفة واحمد وغيرهم.[5] وللعلماء في حكم الاحتجاج بالمرسل تفصيل هذا ليست مكانه.

وقد اعتبر العلماء أنَّ ما يُروى في الموطَّأ بوجه،ويرويه بعض الرُّواة

(1) الموطأ،كتاب الطهارة ،باب جامع الوضوء رقم 36 ،ص58.
(2) الموطأ، كتاب القبلة ، باب ما جاء في خروج النساء إلى المساجد،رقم 12،ص169.
(3) الموطأ' كتاب قصر الصلاة في السفر، باب الجمع بين الصلاتين في الحضر والسفر رقم6،ص123.
(4) الموطأ،كتاب الجمعة، باب الهيئة وتخطي الرقاب واستقبال الإمام يوم الجمعة رقم17،ص108.
(5) تيسير مصطلح الحديث ،الطحان ص54

خارجَة بوجه، هو من أحاديث مالك التي رويت خارج الموطأ ولذلك اجتهد العلماء في المرسل والبلاغات في الموطأ،وتابعوها وبحثوا لها عن سند،وجدوه في خارج الموطأ بسنده او بإسناد آخر،فأسموها بالأحاديث الَّتي رُويت عن مالك خارج الموطَّأ ، وكلامهم في ذلك كثير يفوق الحصر عند أهل العلم ومثال ذلك:

ما رواه مالك في الموطَّأ في كتاب الجمعة،باب الغسل في يوم الجمعة عن مالك عن ابن شهاب ،عن سالم بن عبد الله أنَّه قال:(دخل رجل من أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم المسجد يوم الجمعة ،وعمر بن الخطاب يخطب .....الحديث مرسلاً.قال الدَّار قطني:(ورواه في غير الموطَّأ عن الزُّهري،عن سالم ، عن ابن عمر:أنَّ عمرو ذكره متصلاً .وقال البيهقي:وهذا حديث أرسله مالك بن أنس في الموطَّأ فلم يذكر عبد الله بن عمر في إسناده، ووصله خارج الموطَّأ).[1] . ومالك رحمه الله ممن يحتج بالمرسل وعلى الرغم أنه من طبقة تابعي التابعين،إلا أن كثيرا من العلماء ،قدم مراسيله على من هم في طبقة أعلى منه وذلك يرجع لشدة تحريه في الرواية واشتهاره بالحفظ والإتقان ،مع الورع وعدم الأخذ أو التحديث عن الضعفاء. وعلى ما تقدم فإن البلاغات و المراسيل في الموطأ مسندة موصولة،إما في الموطأ أو في كتب أخرى مسندة،بإسناد مالك رحمه الله أو بإسناد آخر غيره ، وللعلماء والباحثين في ذلك عمل مضني وشاق يرجع إليه في مصادره.

المبحث الثاني

منهج الإمام مالك في الإسناد والحكم علي الرواة

المطلب الأول:منهج الإمام مالك في الرواية وجرح وتعديل الرواة

اشتهر عن الإمام مالك رحمه الله أنه كان يتحرى في الرواية وفي الفتوى،ويتثبت فيها وهو أول من فعل ذلك من أهل الكتب الصحيحة ،وقد قال ابن حبان في الثقات: (كان مالك أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث ولم يكن يروي إلا ما صح ولا يحدث إلا عن ثقة مع الفقه والدين والفضل والنسك).[2]

(1) انظر الأحاديث التي خولف فيها مالك،الدَّار قطني ص61-السُّنن الكبرىللبيهقي294/1-الموطأ ص 101
(2) الثقات ،لابن حبان 7\459 - تهذيب التهذيب ،ابن حجر 10\8

ومع هذا كان حافظا شهد له كل أهل العلم بالحفظ وتكفينا شهادة الإمام الزهري في ذلك:قال حسين بن عروة قدم علينا الزهري فحدثنا نيفا وأربعين حديثا فقال له ربيعة ها هنا من يرد عليك ما حدثت به أمس قال:ومن هو قال بن أبي عامر قال: هات فحدثته منها بأربعين، فقال:ما كنت أقول أنه بقي أحد يحفظ هذا غيري) [1] وقد تتبع العلماء منهجه في جرح وتعديل الرواة ،في موطئه فجاء على النحو التالي:

1/أن كل راوي يروي عنه يعتبر ثقة تصح روايته، فقد روى بن خزيمة في صحيحه عن ابن عيينة قال إنما كنا نتبع آثار مالك وننظر إلى الشيخ أن كتب عنه وإلا تركناه)[2]

وهذا ما حدى بأهل العلم أن يقرروا أن أسانيده اصح الأسانيد :كما قال البخاري (مالك عن نافع عن ابن عمر) [3].ويرجع ذلك لشدة التحري والتثبت عنده،وهو أول من انتهج هذا النهج في نقد الرواة ولا يروي لا عن ثقة،ولا يرسل ولا يبلغ إلا عن ثقة قال الشافعي:(كان مالك إذا شك في الحديث طرحه كلّه).[4] فكل راوي روى عنه أو أورده في الموطأ فهو مقبول الرواية ،ثقة فيها ، وهذا ما جعل روايات الموطأ مبثوثة في كل الكتب الصحيحة التي جاءت بعده لا يخلوا منها مؤلف.

2/ كان لا يروي عن الضعفاء أصلا،وهذا ما سنبينه في المطلب القادم .

3/ إذا اعرض عن رجل فهو عنده غير ثقة،قال علي عن بشر بن عمر الزهراني سألت مالكا عن رجل فقال رأيته في كتبي قلت لا قال لو كان ثقة لرأيته في كتبي .[5] وقد اشتهر عنه قوله:أدركت جماعة من أهل المدينة ما أخذت عنهم شيئاً من العلم، وأنهم ليؤخذ عنهم العلم،وكانوا أصنافاً،فمنهم من كان يكذب في حديث الناس ولا يكذب في علمه، ومنهم من كان جاهلاً بما عنده،

(1) المرجع السابق 10 \9
(2) المرجع السابق 10\ 9- الموطا، ص646
(3) فتح المغيث،العراقي ص9- تيسير مصطلح الحديث، الطحان ص30- الباعث الحثيث ،ابن كثير ص21
(4) التمهيد 63/1 الموطا ص646 الهامش تعليق فواد عبد الباقي التهذيب -،ابن حجر، 10\8
(5) تهذيب التهذيب،ابن حجر، 10\9

ومنهم من كان يزن برأي سوء،فتركتهم لذلك)[1]

4/عدم قبول الحديث الأعلى الوجهه الذي صدر به دون زيادة أو نقصان، قال ابن حاتم: قلت لابن معين: مالك قل حديثه. فقال: بكثرة تمييز ه.[2] فهو لا يقبل الرواية إلا كما هي .

5/ لا يقبل إلا ما كان عليه عمل أهل المدينة،لان عمل أهل المدينة حجة ،يجري مجرى النقل باتفاق المسلمين،وللإمام مالك مناقشات مع أبي يوسف وغيره في ذلك يرجع له في مظانه.[3]

ويعبر عن هذا غالبا بألفاظ تدل على التوثيق مثل والأمر عندنا،هذا ما أدركت عليه أهل بلدنا.

6/عدم الرواية عن أهل البدع قال عبد الله بن وهب: سئل مالك عن أهل القدر، أنكف عن كلامهم ؟ فقال: ..لا يصلي عليهم، ولا تشهد جنائزهم ولا أرى أن يناكحوا)[4]

7/ لا يحب الإكثار من الرواية ويتجنب المكثرين زيادة في التحري والدقة،ولا يحدث هو نفسه بكل ما سمع.وعرف هذا عنه وعن غيره من العلماء وأخرج أبو نعيم:عن ابن وهب قال:سمعت مالك بن أنس يقول:إن عندي لأحاديث ما حدثت بها قط،ولا سمعت مني،ولا أحدث بها حتى أموت.[5]

8/كان يتجنب الروايات الشاذة والغريبة ويرد رواتها، ولا يقبل رواياتهم،فقد قيل له إن فلانا يحدثنا بغرائب فقال:(من الغريب نفر).[6]

هذا هو منهج الإمام مالك رحمه الله في الرواية ونقد الرواة، فكل من حدث عنه في موطئه فهو ثقة،وانه لا يروي عن الضعفاء ،ولا يروي المرويات الشاذة، وأنه لا يحدث عن كل أحد من الرواة فينتقي منهم الثقات، وأنه مع ذلك لا

(1) الجرح والتعديل،ابن أبي حاتم 1/19 -السير ،الذهبي 42 / 7- فتح الباري،ابن حجر 1\394- التمهيد، لابن عبد البر2/1– الكامل، لابن عدي 91 / 1 وترتيب المدارك، القاضي عياض 1\155

(2): السير 8\67-الكامل ابن عدي 1\92الحلية 6/318 - ترتيب المدارك 1\189

(3) انظر تفضيل مذهب مالك ص42-ترتيب المدارك،عياض2\221–الفتاوى الكبرى ابن تيمية 1\221

(4) ترتيب المدارك2\47

(5) انظر المصدر السابق 1\187 -الحلية 1\ 321 - الكامل ابن عدي 1\90

(6) ترتيب المدارك،عياض 1\189

يروي كل ما سمع أو يحدث به.

المطلب الثاني: الإمام مالك والرواية عن الضعفاء

أجمع أهل العلم أن الموطأ أول كتاب في الحديث الصحيح،في زمن كان الحفظ والنقد والتلقي الشفهي هو منهج الرواية،ومع ذلك شهد القاصي والداني والموافق والمخالف،شهدوا بصحة أحاديث الموطأ،وعدم وجود الضعفاء فيه،وهذا هو مذهب الإمام مالك رحمه الله ،فقد كان لا يروي عن ضعيف ،ولا متكلم فيه في على أي نحو،فلا يروي إلا عن ثقة، كما قال بن حبان في الثقات كان مالك أول من انتقى الرجال من الفقهاء بالمدينة وأعرض عمن ليس بثقة في الحديث ولم يكن يروي إلا ما صح ولا يحدث إلا عن ثقة مع الفقه والدين والفضل والنسك وبه تخرج الشافعي .[1] وهذا هو مذهب شيوخ مالك رحمه الله في المدينة فقد قال: سعيد بن المسيب(من روى عن ضعيف فقد بدأ بنفسه) [2]

وقد التزم الإمام مالك رحمه الله مذهب شيوخه فقد اشتهر عنه قوله:لا تأخذ العلم من أربعة وخذ ممن سوى ذلك،لا تأخذ من سفيه معلن بالسفه وان كان أروى الناس، ولا تأخذ من كذاب يكذب في أحاديث الناس إذا جرب ذلك عليه،وان كان لا يتهم أن يكذب على رسول الله ﷺ ، ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه،ولا من شيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث .[3]ومع ذلك فكل جهد بشري قد يتسرب إليه الخطأ،فقد تكلم العلماء في أن الإمام مالك روي عن بعض الضعفاء،مع أن أجلة المحدثين كانوا إذا وجدوا الرجل عند مالك كتبوا عنه وإلا تركوه فقد وروى ابن خزيمة في صحيحه عن ابن عيينة قال إنما كنا نتبع آثار مالك وننظر إلى الشيخ أن كتب عنه وإلا تركناه.وعلى الرغم من ذلك قال النسائي ما عندي بعد التابعين أنبل من مالك ولا أجل منه ولا أوثق ولا آمن على الحديث منه ولا أقل رواية عن الضعفاء ما علمناه حدث عن متروك إلا عبد الكريم) [4]

(1) تهذيب التهذيب -،ابن حجر 10\8

(2) ترتيب المدارك،عياض 2\69

(3) السير ،الذهبي 8\67 – الكامل،ابن عدي 92 /1- والكفاية ،الخطيب ص116

(4) تهذيب التهذيب ،ابن حجر10\9

وقد رد العلماء على ذلك وتحدثوا عنه ولكن أهل العلم لا يحكمون على كتاب كامل بحديث و

أو براوي متحدث فيه مما لا يلزم أن ترد جميع مروياته،فقد يكون ضعيفا في حال دون حال،أو في شيخ دون أخر ، أو في حديث معين،فلا يمكن أن نرد جميع مروياته في كل حياته،بل نقبل حديثه الذي تبين لنا أنه ضبطه وحفظه،ونرد الذي تبين لنا خطأه، وهذا هو ديدن العلماء والمحدثين ونقاد الحديث أهل الجرح والتعديل لاكما يظن غير المتخصصين أن الراوي الضعيف ترد جميع مروياته.وهل لا توجد مثل هذه الأحاديث في كتب السن الأخرى حتى الصحيحين مع تأخرها عن الموطأ والتزام أصحابها بالصحيح،فعبد الكريم نفسه مذكور في البخاري في باب التهجد بالليل، وقد أجاب ابن حجر عن ذلك .[1]

وبهذا يكون الموطأ شأنه شأن كل جهد بشري،يمكن انتقاده وتتبع نهجه،والتفتيش في إسناده ،وتتبع رواياته، ولكن مع استصحاب منهج الرواية وطرقها في ذلك الزمان،ومراعاة أنه أول مؤلف في الحديث الشريف خص بالحديث الصحيح،ورتب ليسهل تطبيقه لكافة المسلمين،على منهج أهل المدينة الذي كان عليه النبي ﷺ،وأصحابه الكرام،وتلاميذهم من كبار التابعين ،الذين بدورهم علموهوا ورووه لتابعي التابعين وأشهرهم وأولهم مالك بن أنس رحمه الله ،الذي صار إمام المدينة،وعالمها الأشهر ،وعلمها الذي تبعه كل من يبحث عن سنة النبي ﷺ،وشد إليه الرحال طلاب العلم من كل نواحي العالم الإسلامي،وقصده العلماء والحكام ، فصار كتابه قبلة لطلاب العلم وأصبح موطئه رغبة أهل الحلم،فانتشر في بلاد العالم الإسلامي،وكثر إتباعه في كل مكان منه،حتى صار مرجع لكل مراجع، ومنهج لكل من يريد علما يسيرا سهلا هو منهج النبي ﷺ وصحبه الكرام ،وأهل المدينة دار الهجرة والسلام.

المبحث الثالث

الإسناد والرواية بين الموطأ والصحيحين

وقد اختلف العلماء في منزلة الموطأ من كتب السنة الصحيحة مع أنه أولها،فمنهم من جعله مقدما على الصحيحين ،وهؤلاء كثر كالإمام أبي بكر بن

(1)تهذيب التهذيب ،ابن حجر 5\279- الكامل ،ابن عدي 5\341

العربي، قال:(الموطأ هو الأصل الأول و اللباب وكتاب البخاري هو الأصل الثاني في هذا الباب،وعليهما بني الجميع كمسلم والترمذي) . (1)

ويكفي في ذلك قول الإمام الشافعي قال:(ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من كتاب مالك). (2).

والأمة مجتمعة على صحة كتابي البخاري ومسلم وقد تحدث العلماء في أيهما أصح ،صحيح البخاري أم صحيح مسلم أم موطأ ،مالك رحمه الله عليهم،مع أن الموطأ سابق لهما،فمن العلماء

من قدم البخاري ومنهم من قدم مسلم على البخاري،ومنهم من ساوى بينهما في الصحة ،مع مراعاة فارق الزمن في التأليف ، وكله جهد علماء لا يضر وما أجود قول الإمام السيوطي إذا قال:(هذا قبل وجود صحيح البخاري ومسلم). (3)

فهو يرى أن الموطأ صحيح في زمانه يسلم له بالصحة ،وعندما جآء البخاري ومسلم بعده أصبح كتابيهما أصح منه ،وقد فصل الشيخ أحمد شاكر تفصيلا علميا قيما حيث قال:(إن ما في الموطأ من الأحاديث الموصولة المرفوعة إلى رسول الله ﷺ صحاح كلها، بل هي في الصحة كأحاديث الصحيحين ، وأن ما فيه من المراسيل والبلاغات وغيرها يعتبر فيها ما يعتبر في أمثالها ، مما تحويه الكتب الأخرى،وإنما لم يعد في الكتب الصحاح لكثرتها وكثرة الآراء الفقهية لمالك وغيره). (4)

وعليه فإن أحاديث الموطأ ليست كلها مسندة،بل فيه المرسل،والمنقطع وغير ذلك، مما يقول فيها مالك(بلغني)أو(عن الثقة) من غير أن يسنده، علما بأنها مسندة من طرق أخرى ، غير طريق مالك نفسه،ومع مراعاة جهد العلماء في التصدي لوصل وإسناد كل أحاديث الموطأ، التي كانت أصلا مسندة موصولة عند مالك ، اختصرها لمنهجه في كتابه حتى يكون سهلا ميسرا قصير في

(1) مقدمة تنوير الحوالك،السيوطي 1\6.

(2) المصدر السابق 1\7 –تدريب الراوي السيوطي 1\91 –فتح الباري ابن حجر 1\10

(3) تدريب الراوي .السيوطي 1\91- حجة الله البالغة ،ولي الله الدهلوي ،1\133

(4) الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث،ابن كثير ص 28.

الإسناد ليصبح كتابا جامعا للحديث النبوي،وفيه التطبيق العملي لحياة المسلم وفق المنهج والسنة النبوية،وعمل أهل المدينة المنورة،وينظر في ذلك كتاب العلامة ابن عبد البر النمري الذي ألف سفرا جمع فيه كل فن وصل به كل ما في(موطأ مالك)من الأحاديث المرسلة والمنقطعة والمعضلة). [1] ولكن إلا يوجد في صحيح البخاري معلقات، اجتهد فيه العلماء وبينو ا حالها،ومع ذلك اتفقت الأمة على انه اصح كتاب في الحديث،و مع ذلك يظهر مما تقدم أن أصحاب الكتب الستة لم يغادروا حديثا من أحاديث الموطأ الا أخرجوه في كتبهم وأوردوه فيها لصحته.[2]

وها هو الإمام البخاري نفسه لا يقدم على حديث مالك احد ويبين إن إسناده اصح الأسانيد بل يفتتح كتابه بحديث مالك،في باب بدء الوحي.[3]

وعلى ما تقدم فالموطأ صحيح الإسناد كالصحيحين في بابه،ولكن تم تأليفه في زمن سابق لهما، على نهج ومنهج أهل ذلك الزمان،فاستفاد البخاري ومسلم من الموطأ،واستوعبوا أحاديثه،ونهجوا في كتبهم ترتيبا جديدا،ومنهجا جعلهما أصح من الموطأ بعد ذلك،ومع ذلك احتفظ الموطأ بقيمته العلمية ،ومنهجه الذي يبين أنه لايقل في الصحة من الصحيحين.

الخـــاتمـــة

وفي خاتمة هذا البحث نتوصل لبعض النتائج،ونقترح بعض التوصيات،نجملها في الآتي:

أ-النتائج :

أ – أن الإمام مالك بن أنس رحمه الله من أجل وأكبر أهل العلم في المدينة خاصة والعالم الإسلامي كافة،ويدل على ذلك انتشار موطئه وذيوع وإتباع مذهبه في العالم .

ب – يعتبر الموطأ أول كتاب في بابه ونهجه ومنهجه،من حيث صحة

(1) علوم الحديث ومصطلحه، للدكتور صبحي الصالح : ص 387

(2) انظر الباعث الحثيث ،ابن كثير ص21 - محمد فؤاد عبد الباقي في مقدمة الموطأ ض24

(3) انظر رسالة تفضيل مذهب مالك وعمل أهل المدينة ص66ومابعدها- صحيح البخاري1\4

الإسناد ، والترتيب على الأبواب الفقهية ،سابقا لطريقة العلماء في ذلك الزمان.

جـ - رتب الإمام مالك سفره هذا بوضع الحديث المرفوع أولا،ثم الأثر الذي يرويه الصحابي ،ثم قول التابعي ،ثم يفتي برأيه بعد ذلك وهذا في كل كتابه.

د – تتبع العلماء أحاديث الموطأ فوجدوها كلها مسندة موصولة عن طريق مالك أو من طريق آخر،فبحثوا في ذلك ووصلوا ما انقطع داخل الموطأ مما يعزز صحته وتفرده في إسناده.

هـ - روايات الموطأ كلها عن الثقات لا يوجد فيها ضعفاء ،وهذا من كثرة دقة الإمام وشدة تحريه وتجنبه للرواية عن كل من تكلم فيه.

و- يقدم الإمام مالك في موطئه رواية أهل المدينة ، وإذا خالفها شيء لا يقبل غيرها ويرده،وذلك لأنها مهبط الوحي، ومهاجر النبوة،واعلم الناس بآخر عهده ﷺ فيه ،ومالك ولد ونشأ ودرس فيها.

ز- أن الموطأ يحتل عند العلماء مكانة الصحيحين تماما،ولذلك كثرت المؤلفات حوله من شرح وبيان غريب ووصل أسانيد وغيرها،مما ساعد في نشره وتيسيره لفائدة كافة الناس.

ب - التوصيات:-

أ –يوصي الباحث بقيام مؤتمر سنوي للعلماء والأكاديميين والباحثين المسلمين للبحث في علماء الأمة عامة والإمام مالك خاصة، على أن ينعقد كل عام في دولة من الدول.

ب – إنشاء مركز أبحاث باسم الإمام مالك لاستفادة من منهجه في علوم الحديث وروايته ونشر الدعوة ،والتفسير وعلومه،والسياسة والاقتصاد والعلاقات الاجتماعية ،والسياسة،وغيرها من المجالات وحفظ تراث المالكية ،وفتحه للدارسين والباحثين،لخدمة الإسلام وإجراء الدراسات العلمية .

ج- طباعة كتيبات ورسائل صغيرة للتعريف بالإمام مالك ومناهجه وآراءه في الواقع المعاصر ونشرها وتوزيعها بين أفراد المجتمع في المطارات والمساجد وبين طلاب العلم في المراحل الأولية في كل البلاد التي ينتشر فيها المذهب المالكي حتى لا يجرفهم التيار المتشدد المنتشر بقوة.